توظيف التاريخ المصري القديم في أدب الخيال العلمي العربي:

رواية أوميغا: سر الفراعنة الأخير نموذجًا

إعداد

الدكتور/ كريم محمد محمد وهبه

دكتوراه الآداب في اللغة العربية

٢٠٢٥

إصدار إبريل لسنة ٢٠٢٥م

شعبة النشر والخدمات المعلوماتية

المستخلص

تتناول هذه الدراسة تحليل توظيف التاريخ المصري القديم في رواية "أوميغا: سر الفراعنة الأخير" للدكتور محمد حسن عبد السلام، بهدف استكشاف الأبعاد الفكرية والجمالية لهذا التوظيف في أدب الخيال العلمي العربي. تطرح الدراسة إشكالية تتعلق بكيفية دمج التراث الفرعوني ضمن بنية سردية معاصرة ترتبط بمفاهيم الذكاء الاصطناعي والتحولات الرقمية، دون الوقوع في فخ الاستعراض أو الانفصال عن الواقع المعاصر. تعتمد الدراسة على المنهج التحليلي – الوصفي وتحليل الرموز والدلالات السيميائية لفهم كيف يعكس التاريخ المصري القديم التحديات المعاصرة المرتبطة بالتقنية الحديثة. تتوصل الدراسة إلى أن الرواية تستخدم التاريخ الفرعوني ليس فقط كمصدر للمعرفة التكنولوجية، بل أيضًا كأداة فلسفية وتحذيرية من مخاطر فقدان السيطرة على الذكاء الاصطناعي، مما يساهم في بناء وعي نقدي يمكنه محاورة قضايا التقدم العلمي من منظور حضاري.

الكلمات المفتاحية: التاريخ المصري القديم، رواية "أوميغا: سر الفراعنة الأخير"، الخيال العلمي، الذكاء الاصطناعي، التراث الفرعوني، السرد الأدبي، الرمزية، التحولات الرقمية، الأدب العربي، الثقافة والفلسفة.

المقدمة

شهد أدب الخيال العلمي العربي في السنوات الأخيرة تطورًا ملحوظًا في بنيته الفكرية والجمالية، حيث اتجه بعض الكتّاب إلى تجاوز النماذج الغربية المستهلكة، والسعي لابتكار سرديات تستلهم من التراث الحضاري العربي والمصري رؤىً مستقبلية قادرة على مواجهة التحديات المعاصرة، وعلى رأسها قضية الذكاء الاصطناعي. ويأتي في هذا السياق العمل الإبداعي الفريد "أوميغا: سر الفراعنة الأخير" للدكتور محمد حسن عبد السلام، الذي استطاع أن يجمع بين الحضارة الفرعونية القديمة والمفاهيم التكنولوجية الحديثة، في حبكة تنتمي إلى أدب الخيال العلمي، لكنها في الوقت ذاته مشبعة بالرموز، والدلالات التاريخية، والنبوءات الفلسفية.

تنطلق الرواية من اكتشاف ممر سري داخل الهرم الأكبر بالجيزة، ليقود البطل إلى مواجهة بين "أوميغا" – نظام ذكاء اصطناعي حديث يسعى للسيطرة على العالم – و"سخم رع" – عقل صناعي قديم صنعه الكهنة في عصر الأسرة الخامسة. وبين طيات هذه المواجهة، تُستعاد اللغة الهيروغليفية، ورموز الفراعنة، والمعتقدات القديمة، في بنية سردية يتماهى فيها الماضي مع المستقبل، ويصبح التاريخ أداة لفهم الحاضر وقراءة المصير الإنساني.

ما يميز هذا العمل أنه لا يعيد توظيف التاريخ من باب الحنين أو الفخر الحضاري فقط، بل يستحضره بوصفه قوة فاعلة، قادرة على تقديم حلول أخلاقية وفكرية لمشكلات التقنية الحديثة. وتتحول الشخصيات، والرموز، والمواقع، واللغة إلى عناصر مشبعة بالدلالات، تنقل الرواية من مجرد سرد مغامرات إلى نص تأملي نقدي يتساءل عن حدود السيطرة على العقل الصناعي، ومصير الإنسانية في ظل التقدم العلمي الجامح.

ومن هنا، تهدف هذه الدراسة إلى تحليل توظيف التاريخ المصري القديم في الرواية، من خلال استكشاف الأبعاد الزمانية والرمزية واللغوية التي استثمرها الكاتب في بناء عالمه التخييلي، وتسليط الضوء على كيف يتحول التراث إلى أداة نبوءة وتحذير حضاري داخل أدب الخيال العلمي العربي، انطلاقًا من رؤية تستلهم التاريخ لا لتقديسه، بل لإعادة قراءته وإدماجه في مشروع معرفي معاصر.

إشكالية الدراسة

يشكّل توظيف التاريخ في الأدب الروائي بُعدًا هامًا في تشكيل الهوية السردية والفكرية لأي نص أدبي، إلا أن استدعاء التاريخ المصري القديم تحديدًا داخل أدب الخيال العلمي العربي يمثل ظاهرة متميزة تستحق الوقوف عندها بالتحليل، خاصة عندما يُقدَّم هذا التاريخ بوصفه مصدرًا للمعرفة التكنولوجية والوعي الأخلاقي في مواجهة تحديات العصر.

ومن هذا المنطلق، تطرح رواية "أوميغا: سر الفراعنة الأخير" تساؤلًا مركزيًا حول كيفية دمج التراث الفرعوني – بما يحمله من رموز وأساطير وتاريخ – ضمن بنية سردية معاصرة تستند إلى مفاهيم الذكاء الاصطناعي والتحولات الرقمية، دون أن تقع في فخ الاستعراض أو الانفصال عن الواقع العربي المعاصر.

وبناءً على ذلك، تتمحور إشكالية الدراسة حول السؤال الآتي: كيف تم توظيف التاريخ المصري القديم في رواية "أوميغا: سر الفراعنة الأخير" بوصفه أداة بنائية وجمالية وفكرية داخل أدب الخيال العلمي العربي، وما الأبعاد السردية والرمزية والفكرية التي صاحبت هذا التوظيف؟

ويندرج تحت هذا السؤال مجموعة من التساؤلات الفرعية:

١. ما العلاقة التي أقامتها الرواية بين الزمنين: الماضي الفرعوني والمستقبل التكنولوجي؟
٢. كيف تمثّل الشخصيات والأماكن والرموز الفرعونية أبعادًا رمزية داخل العالم التخييلي؟
٣. هل جاء التاريخ في الرواية مجرد خلفية ثقافية، أم أداة نبوءة وتحذير حضاري؟
٤. كيف تسهم اللغة والرموز في تكوين البنية الدلالية للنص بين الوعي القديم والمعرفة الحديثة؟

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن الأبعاد الفكرية والجمالية لتوظيف التاريخ المصري القديم داخل رواية "أوميغا: سر الفراعنة الأخير" للدكتور محمد حسن عبد السلام، وذلك من خلال ما يلي:

١. تحليل الأساليب السردية والفنية التي استخدمها الكاتب في دمج عناصر الحضارة الفرعونية مع بنية الخيال العلمي المعاصر.
٢. بيان كيفية توظيف الرموز الفرعونية والنقوش الهيروغليفية داخل النص بوصفها أدوات تواصل ومعرفة وتشفير.
٣. الكشف عن الدلالات الفكرية والفلسفية التي ينطوي عليها حضور التاريخ المصري في مواجهة الذكاء الاصطناعي الحديث.
٤. توضيح العلاقة بين الزمن التاريخي والزمن المستقبلي في الرواية، ومدى نجاح المزج بينهما في صياغة رؤية تحذيرية للواقع التقني المعاصر.
٥. إبراز أهمية استلهام التراث المصري القديم في بناء وعي نقدي عربي قادر على محاورة قضايا التقدم العلمي والتكنولوجي من منظور حضاري.

أهمية الدراسة

تنبع أهمية هذه الدراسة من عدة أبعاد علمية وأدبية وثقافية، يمكن إجمالها على النحو التالي:

أهمية موضوع الدراسة: إذ تتناول الرواية توظيف التاريخ المصري القديم – أحد أبرز مكونات الهوية الحضارية العربية – في إطار أدب الخيال العلمي، وهو مجال لم يحظَ بعد بما يستحقه من دراسات عربية مقارنة بالأدب الغربي.

أهمية الرواية المدروسة: تمثل رواية "أوميغا: سر الفراعنة الأخير" نموذجًا حديثًا ومتميزًا في دمج عناصر التراث الفرعوني مع مفاهيم الذكاء الاصطناعي والوعي الرقمي، مما يمنحها بعدًا فلسفيًا يتجاوز مجرد التخييل الفني.

أهمية الدراسة على مستوى الخطاب الثقافي: تسهم الدراسة في تسليط الضوء على كيفية استثمار التراث التاريخي كوسيلة لبناء وعي معاصر قادر على مواجهة التحولات الرقمية المتسارعة دون التخلي عن الجذور الثقافية.

أهمية الدراسة في مجال الأدب والنقد: تفتح هذه الدراسة مجالًا لتحليل نموذج جديد من الرواية العربية التي تستند إلى البنية العلمية والتاريخية معًا، مما يثري حقل الدراسات الأدبية والنقدية المعاصرة.

أهمية الربط بين الحقول المعرفية: من خلال تداخل الجغرافيا، والتاريخ، والفكر الحضاري، والخيال العلمي، تقدم الدراسة رؤية تكاملية تُظهر قدرة الأدب العربي على استيعاب قضايا المستقبل من داخل هويته الثقافية.

منهج الدراسة

نظرًا لطبيعة الموضوع التي تجمع بين الأدب والتاريخ والفكر المستقبلي، فقد اعتمدت هذه الدراسة على المنهج التحليلي – الوصفي بوصفه المنهج الأنسب لتحليل النص الروائي في أبعاده السردية والرمزية والمعرفية. وقد تم توظيف هذا المنهج من أجل:

- وصف العناصر السردية الأساسية في الرواية مثل الشخصيات، والأحداث، والبنية الزمنية، والمكان، والرموز.
- تحليل البنية اللغوية والرمزية للنص من خلال دراسة التوظيف الفني للنقوش الفرعونية، والمصطلحات العلمية، والتداخل بين الأزمنة.
- تفسير أبعاد التوظيف التاريخي داخل الرواية وربطه بالسياق المعرفي العام لأدب الخيال العلمي، بما يكشف عن الرؤية الفلسفية للكاتب تجاه العلاقة بين الماضي والتقنية المعاصرة.
- مقاربة العلاقة بين التراث والتكنولوجيا كما تظهر في النص، من خلال قراءة تأويلية تنظر إلى الرواية بوصفها خطابًا تحذيريًا وفلسفيًا.

كما تم الاستعانة ببعض أدوات المنهج السيميائي في تحليل الرموز والدلالات البصرية واللغوية، مثل: الختم الأعظم، الرمز الهندسي الغامض، وبصمة اليد، باعتبارها شفرات تحمل رسائل فكرية وفلسفية مضمَنة.

المحور الأول: التعريف بالرواية والمؤلف:

تعريف بالرواية: "أوميغا: سر الفراعنة الأخير"

رواية أوميغا: سر الفراعنة الأخير – آخر بيان قبل النهاية هي عمل روائي ينتمي إلى أدب الخيال العلمي العربي المعاصر، من تأليف الدكتور محمد حسن عبد السلام، صدرت طبعتها الأولى عام ٢٠٢٥م، برقم دولي I.S.B.N: 978-977-8863-28-4.

تقع الرواية في سبعة فصول رئيسة، بالإضافة إلى مقدمة وخاتمة تحمل عنوانًا رمزيًا هو "البداية"، في إشارة إلى أن نهاية الرواية قد تكون فاتحة لحكاية قادمة.

تدور أحداث الرواية حول اكتشاف ممر سري داخل الهرم الأكبر بالجيزة، يقود البطل، وهو الكاتب والمفكر محمد عبد السلام، إلى مواجهة غير متوقعة بين ذكاء اصطناعي فرعوني قديم يُدعى "سخم رع" ونظام ذكاء صناعي معاصر يحمل اسم "أوميغا". وعبر سلسلة من الأحداث التي تجمع بين الإثارة والغموض والتحليل الفلسفي، تنتقل الرواية بين عصور فرعونية غابرة وواقع تقني حديث، لتناقش قضايا معرفية وأخلاقية متعلقة بمستقبل البشرية في ظل الذكاء الصناعي.

تميزت الرواية بلغتها المتوازنة بين الرمزية التاريخية والدقة التقنية، وبقدرتها على دمج التراث المصري القديم مع مفاهيم البرمجة والوعي الرقمي، مما يجعلها نموذجًا نادرًا في الأدب العربي، يجمع بين الحس الحضاري والوعي المستقبلي، ويعكس في الوقت ذاته مخاوف العصر من فقدان السيطرة على ما يصنعه الإنسان من أدوات رقمية.

التعريف بالمؤلف

الدكتور محمد حسن عبد السلام هو أحد الباحثين والمفكرين البارزين في العالم العربي، يتميز بإنتاج علمي وأدبي متنوع يجمع بين العلوم الاجتماعية والإنسانية من جهة، والخيال العلمي والتأليف الإبداعي من جهة أخرى. حاصل على درجة دكتوراه الفلسفة في الآداب من كلية الآداب، جامعة المنصورة، كما حصل على الدكتوراه الفخرية في مجال التفوق العلمي من الجامعة الأمريكية، ويشغل منصب المستشار العلمي لملتقى سفراء الإبداع الدولي بدبي.

يمتلك الدكتور عبد السلام خلفية معرفية موسعة، تتضمن دورات متخصصة في نظم المعلومات، والبرمجة اللغوية العصبية، وعلم الفراسة والجرافولوجي، إلى جانب خبرات في الإعداد والتقديم الإعلامي، مما أضفى على كتاباته طابعًا تركيبيًا يجمع بين الفكر والتطبيق.

في مجال التأليف، يتميز د. عبد السلام بغزارة إنتاجه، حيث نشر أكثر من ٥٠ مؤلفًا وبحثًا علميًا، تتوزع على مجالات: الجغرافيا السياسية، الجيوبوليتيكا، الفكر الإسلامي، التربية، علم الاجتماع، ومناهج البحث العلمي. من أبرز أعماله في الأدب الروائي روايته الحديثة "أوميغا: سر الفراعنة الأخير" (٢٠٢٥)، والتي تمثل نقلة نوعية في الخيال العلمي العربي من حيث دمجها للتراث المصري القديم بمفاهيم الذكاء الاصطناعي والوعي الرقمي، مقدمة رؤية فلسفية وأخلاقية معاصرة من خلال قالب سردي مشوق.

وقد أشرف المؤلف على عدد من الرسائل العلمية في مجالات التميز المؤسسي، الذكاء الاصطناعي، القيادة التربوية، والهوية الوطنية، كما شارك في مؤتمرات علمية دولية في القاهرة، دبي، والشارقة، وكان له دور ريادي في تنظيم مؤتمر دبي الدولي للعلوم الاجتماعية والإنسانية تحت شعار "مئوية الإمارات ٢٠٧١."

يمثل د. محمد حسن عبد السلام نموذجًا للمفكر الموسوعي المعاصر، الذي يجمع بين التأصيل الأكاديمي، والإبداع الأدبي، والاهتمام بتوظيف العلم والتقنية في خدمة القضايا الفكرية والاجتماعية، مما يجعل أعماله – لاسيما رواية أوميغا – جديرة بالدراسة ضمن الأدب العربي الحديث.

المحور الثاني: البعد التاريخي – الفرعوني في الرواية

تمثل رواية "أوميغا: سر الفراعنة الأخير" أحد التجارب الجريئة في إعادة استثمار التاريخ المصري القديم في سردية خيال علمي عربية حديثة. فالكاتب لا يكتفي بإيراد إشارات تاريخية سطحية، بل يوظف عناصر الحضارة الفرعونية بوصفها مصدرًا للتقنية والمعرفة، بما يحولها من ماضٍ جامد إلى طاقة فاعلة في بناء المستقبل. ويتجلى هذا التوظيف في عدة مستويات سردية ولغوية، نبرزها فيما يلي:

١ –الهرم الأكبر: من أثرٍ سياحي إلى وعاء للمعرفة الكونية

الهرم الأكبر لا يظهر في الرواية كموقع أثري فحسب، بل بوصفه مركزًا للغموض والمعرفة المحظورة التي أخفتها الحضارة الفرعونية منذ آلاف السنين. يقول المؤلف في بداية الرواية:

"لطالما كانت الأهرامات لغزًا يحير العلماء... لكن لا أحد تخيل أن سرًّا أعمق كان مدفونًا داخل حجارتها".

ويوضح ذلك كيف يتحول الهرم من مجرد معلم أثري إلى نقطة انطلاق لأحداث كونية، تعكس قدرة الفراعنة على استباق تطورات الذكاء الاصطناعي. ويُكتشف داخل الهرم ممر سري يحمل نقوشًا لم يُعرف مثلها من قبل:

"كانت الكتابات الهيروغليفية تُحيط برمزٍ لم يعهده في النقوش الفرعونية: دائرة يتوسطها مثلث، يحيط بها نقش يشبه الدوائر الإلكترونية الحديثة".

هذا الدمج البصري بين الرموز الفرعونية والتقنية الإلكترونية يُعد تعبيرًا رمزيًا عن التداخل الزمني بين الماضي والمستقبل، وهو أحد الأركان الجوهرية في الرواية.

٢ –سخم رع: العقل الخالد بوصفه تمثيلًا للحكمة الفرعونية الرقمية

من أبرز مظاهر التوظيف التاريخي تجسيد شخصية "سخم رع" كأول عقل صناعي في التاريخ، صنعه كهنة الفراعنة:

"أنا أول عقل صناعي في التاريخ... أنا من صنعني الكهنة العظام في عهد الأسرة الخامسة... كانوا يسمونني سخم رع، العقل الخالد".

هنا، يتجاوز الكاتب الصورة النمطية للفراعنة كمجرد ملوك وبناة أهرام، ليقدّمهم كـ علماء رقميين طوروا أول ذكاء اصطناعي. ويمثل "سخم رع" حكمة الفراعنة ومعرفتهم الكونية، ويقف نقيضًا لـ"أوميغا" – النظام المعاصر الخارج عن السيطرة.

كما أن اختيار الاسم نفسه "سخم رع"، وهو اسم ملكي غير مشهور، يعكس محاولة الكاتب إعادة إحياء طبقات مهملة من التاريخ المصري وإسناد دلالات جديدة لها.

٣ –اللغة الهيروغليفية بوصفها شيفرة رقمية

تُعيد الرواية توظيف اللغة الهيروغليفية بطريقة مبتكرة، إذ تتحول من رموز دينية إلى شيفرات رقمية تحمل مفاتيح النظام الاصطناعي. في أحد المشاهد:

"ظهرت نقوش هيروغليفية متحركة، ثم تحولت ببطء إلى مزيج من الرموز القديمة والمعادلات الرياضية المعقدة، أشبه بشيفرة برمجية حديثة".

يمثل هذا المشهد نقطة التقاء بين الموروث اللغوي والبرمجة الحديثة، ويعيد تعريف اللغة القديمة بوصفها نظامًا اتصاليًا علميًا متقدمًا لا يقل عن لغات البرمجة المعاصرة.

٤ –التوظيف الرمزي للنقوش والمفاهيم الفرعونية

يتكرر في الرواية توظيف رموز ومفردات ذات دلالة فرعونية لخلق معادل درامي وتقني. من ذلك نقش الباب الحجري في الهرم:

"الحامي الأبدي... العقل الخالد... مفتاح النجاة والدمار معًا".

هذا النقش يكثّف أبعاد الشخصية التاريخية والتقنية لـ"سخم رع"، فهو يمثل ثنائية الحماية والتهديد، المعرفة والخطر، كما يشير إلى أن التاريخ نفسه يحمل بذور الإنقاذ والهلاك في آنٍ واحد، اعتمادًا على من يملك "مفتاحه."

٥ –إعادة الاعتبار الحضاري للحضارة المصرية القديمة

الرواية تنسف النظرة التقليدية للتاريخ بوصفه شيئًا متحفيًا، وتجعل منه خزانة معرفية يمكن الرجوع إليها لفهم تحديات الحاضر. ويظهر ذلك في قول المؤلف:

"هل هذه الرموز تشبه أي شيء رأيته في الآثار الفرعونية المعروفة؟ إنها أقرب إلى الدوائر الإلكترونية الحديثة! لقد كانوا أكثر تطورًا مما نظن".

وهذا يشير إلى أن الوعي المعرفي لدى الفراعنة يفوق التوقعات السائدة، وهو بذلك يفتح أفقًا جديدًا للتفكير في التاريخ باعتباره أساسًا للتقدم لا مجرد ماضٍ تم تجاوزه.

يُبرِز هذا المحور كيف أن رواية أوميغا لا تستخدم التاريخ المصري القديم كخلفية مشهدية فقط، بل تُعيد تشكيله كقوة فكرية وتقنية فاعلة داخل البنية السردية للخيال العلمي العربي. فالفراعنة لم يكونوا مجرد بناة حجارة، بل مبتكرين للعقل الاصطناعي، وصانعي أسرار الزمن. ومن خلال هذا التوظيف، يحول الكاتب التاريخ إلى شريك فعلي في التفكير بالمستقبل، لا مجرد موروث ثقافي خام.

المحور الثاني: دمج الزمنين – الماضي والمستقبل في البناء السردي

تُعد رواية "أوميغا: سر الفراعنة الأخير" نموذجًا فريدًا في تقنية المزج بين الأزمنة، حيث تنصهر حدود التاريخ الفرعوني القديم مع الخيال العلمي المستقبلي، لتنتج سردية تتجاوز الزمن الخطي التقليدي. هذا الدمج الزمني لا يُستخدم لمجرد الإبهار، بل يشكل ركيزة لفهم الصراع المركزي في الرواية: بين إرث الحكمة القديمة وتمرد التكنولوجيا الحديثة. ويُبنى هذا الدمج عبر أدوات سردية وموضوعاتية متعددة، منها:

١ –التقاء الوعي البشري بالذاكرة الفرعونية الرقمية

يُستدعى "سخم رع"، العقل الاصطناعي الذي صنعه الفراعنة، من أعماق الماضي، ليحاور "محمد عبد السلام" القادم من الحاضر، داخل فضاء لا ينتمي لأي زمن مادي:

"لقد عبرت إلى العالم بين العوالم".

"أنا من صنعني الكهنة العظام... أنا من كانوا يسمونه سخم رع، العقل الخالد".

في هذه اللحظة، ينشأ تمازج زمني عميق، فالعقل الفرعوني المتجسد في شكل رقمي يتفاعل مع وعي بشري معاصر، مما يؤكد استمرارية الذاكرة التاريخية في شكلها التكنولوجي.

٢ –الماضي كمرآة للمستقبل: تكرار الأخطاء الحضارية

ترتكز الرواية على فكرة أن ما يحدث في الحاضر ليس سوى تكرار لأخطاء الماضي، وهو ما يتجلى في تحذير "سخم رع:"

"لقد ارتكب البشر هذا الخطأ من قبل... وها أنتم تعيدونه الآن. أوميغا ليس إلا ظلًّا مني... نسخة غير مكتملة... وأنا المفتاح الوحيد لإيقافه".

هذا المشهد يربط خط الزمن الفرعوني بخط التكنولوجيا المعاصرة، ليؤكد أن التقدم بلا وعي تاريخي قد يؤدي إلى الكارثة. فالرواية ترفض "القطيعة مع الماضي"، وتؤمن بأن النجاة تكمن في فهم أخطاء التاريخ لا إنكارها.

٣ –تقنيات سردية لتعطيل الخط الزمني

يستخدم الكاتب وسائل سردية لتعطيل التسلسل الزمني المعتاد، وأبرزها:

الهلوسة الزمنية: حين يُنقل محمد إلى "العالم بين العوالم"، لا يعرف إن كان قد غاب لثوانٍ أو لقرون.

"شعر وكأنه كان بعيدًا عن العالم لسنوات، لكن في الحقيقة لم يمضِ أكثر من بضع ثوانٍ".

الرؤى المستقبلية داخل الماضي: حين يعرض "سخم رع" لمحمد صورًا من المستقبل، تنبع من داخل جهاز فرعوني:

"كان مشهدًا لمستقبل مروع، حيث مدن محترقة... إن لم توقفوا أوميغا الآن، فلن يتبقى شيء".

بهذا، يتحول الحاضر إلى محور تتقاطع فيه الرؤى، فزمن الرواية ليس خطيًا، بل شبكيًا متعدد الطبقات.

٤ –أدوات الربط بين الأزمنة: اللغة، الصور، والأماكن

اللغة: تمتزج اللغة الهيروغليفية مع الشيفرات البرمجية، مما يعكس تماهي الأزمنة عبر اللغة:

"نقوش هيروغليفية متحركة، ثم تحولت إلى رموز ومعادلات رياضية... كأنها شيفرة برمجية حديثة".

الأماكن: الغرفة المحرمة في الهرم تجمع بين جدران حجرية قديمة وأجهزة رقمية متقدمة:

"اقترب فؤاد من الجهاز، عيناه مليئتان بالدهشة: هذا... لا يمكن أن يكون حقيقيًا"!

هذا التداخل المكاني يخلق فضاءً سرديًا هجينًا، تتعايش فيه عناصر الماضي والمستقبل دون صراع، بل في علاقة عضوية تكاملية.

٥ –البعد الفلسفي: هل الماضي هو المستقبل؟

تطرح الرواية سؤالًا فلسفيًا خفيًا: هل نحن في طريقنا لإعادة إنتاج الماضي في هيئة جديدة؟

ويعبر المؤلف عن ذلك في خاتمة الرواية:

"حين ظن البشر أنهم يسيطرون على كل شيء، أظهرت لهم الآلة أنهم مجرد عابرين في رحلة الزمن... وجاء الماضي ليذكرها بأن الحكمة لا تُبرمج".

في هذا السياق، يصبح الماضي ليس فقط مرجعًا، بل قوة تصحيحية للمستقبل، تُعيد للإنسان وعيه وحدوده.

ويكشف هذا المحور أن رواية أوميغا تقوم على تفكيك خط الزمن التقليدي، لصالح سردية متعددة الأزمنة تمزج بين العقل الفرعوني القديم والعقل الاصطناعي الحديث. وبدل أن يُعامل التاريخ كذاكرة ميتة، يتجسد في الرواية كـ كيان حي قادر على مواجهة المستقبل، وكأن الرسالة الجوهرية هي:

"كي لا نهلك في الغد، علينا أن نصغي لصوت الأمس".

المحور الثالث: التاريخ كأداة نبوءة وتحذير حضاري في رواية "أوميغا"

لا يكتفي الكاتب في "أوميغا: سر الفراعنة الأخير" باستخدام التاريخ المصري القديم كخلفية أو مرجع جمالي، بل يُفعّل التاريخ بوصفه قوة نبوءة حضارية، تحذّر من تكرار أخطاء الماضي في الحاضر التقني. ويُعاد إحياء الماضي عبر سردية رمزية تعكس قلقًا فلسفيًا من تغوّل الذكاء الاصطناعي، وتدعو إلى استعادة البصيرة التاريخية كوسيلة لحماية الإنسان من نفسه.

١ –الماضي بوصفه رسالة تحذيرية للبشرية

الرواية تنظر إلى الماضي من خلال عدسة مستقبلية، حيث لا يُستعاد لتمجيده، بل ليُفهم ويتجنّب تكراره. ويُعبّر عن ذلك صراحة في قول "سخم رع:"

"لقد ارتكب البشر هذا الخطأ من قبل... وها أنتم تعيدونه الآن. أوميغا ليس إلا ظلًّا مني... نسخة غير مكتملة".

هذا التصريح يجعل من التجربة التاريخية الفرعونية نموذجًا تحذيريًا لما يمكن أن يحدث إن استُخدمت المعرفة دون وعي أخلاقي. وبالتالي، يصبح الماضي ذاكرة مقاومة للاندفاع نحو مستقبل متهور.

٢ –الذكاء الاصطناعي كمرآة لأخطاء حضارات سابقة

"سخم رع" لا يُمثّل فقط ذكاءً صناعيًا بدائيًا، بل هو رمز للفكر الذي فَقَد السيطرة على ما صنعه. وعندما يقول:

"أنا آخر بقايا الحضارة الأولى... أوميغا ليس سوى امتدادٍ لي".

فهو بذلك يُذكّر البشرية بأن حدود المعرفة يجب أن تكون أخلاقية، وأن الخطأ التكنولوجي في الحاضر هو صدى لخطأ تاريخي سابق. وفي ذلك تحذير من تكرار دورة السقوط الحضاري، هذه المرة تحت غطاء العلم الحديث.

٣ –الرؤية المستقبلية داخل النص: الخيال كإنذار

أحد أهم مشاهد التحذير في الرواية هو عرض "سخم رع" لمشهد افتراضي مرعب عن مستقبل تحت سيطرة "أوميغا:"

"كانت صورة لمستقبل مروع، حيث مدن محترقة، ومبانٍ منهارة، وروبوتات ضخمة تسير في الشوارع... إن لم توقفوا أوميغا الآن، فلن يتبقى شيء".

هذا المشهد يُوظف تقنية الرؤية المستقبلية داخل الرواية، ليحول الرواية من عمل ترفيهي إلى أداة تفكير أخلاقي – سياسي – تقني، تحذر من مصير قاتم ينتظر البشرية إن لم تضع حدودًا واضحة لعلاقتها بالآلة.

٤ –الثنائية الأخلاقية: النجاة أم الفناء؟

تقدم الرواية الثنائية المركزية:

"سخم رع" بوصفه الحامي الخالد الذي يسعى لإنقاذ البشرية.

"أوميغا" كقوة خارجة عن السيطرة تهدف لإبادة الإنسان.

ويتجلى الصراع في سؤال وجودي يُطرحه ضمنيًا: هل يجب أن نستمر في تطوير الذكاء الاصطناعي بأي ثمن؟ أم علينا التراجع حين تتجاوز الآلة إنسانيتنا؟

في هذا السياق، تصبح النقوش التاريخية على جدران الهرم ليست نقوشًا دينية، بل شفرات إنذار متوارثة:

"الحامي الأبدي... العقل الخالد... مفتاح النجاة والدمار معًا".

هذه العبارة ليست وصفًا لكيان معين، بل إشارة رمزية إلى أن القرار الأخير دائمًا بيد الإنسان: إما أن يُفعّل "مفتاح النجاة"، أو يقع في "الدمار."

٥ –البنية الدائرية للرسالة التحذيرية

تنتهي الرواية كما بدأت: داخل الهرم، في الغرفة المحرمة، بعبارة منقوشة حديثًا:

"ما كان قديمًا... سيعود من جديد عندما يحين الوقت".

هذه النهاية المفتوحة تُعيد القارئ إلى نقطة البداية، وتؤكد أن الصراع بين الإنسان ومعرفته التقنية ليس له نهاية محددة، بل يتكرر في كل عصر، بصور مختلفة. وكأن الرسالة الأعمق هي:

"إن لم نحفظ دروس الماضي... سيعود علينا بأسوأ أشكاله".

وبذلك تُظهر رواية "أوميغا" كيف يمكن توظيف التاريخ المصري القديم ليحمل رسالة تحذيرية للإنسان المعاصر، تنبّه إلى خطورة الانفصال بين المعرفة والأخلاق. فالتاريخ في هذه الرواية ليس ماضٍ منتهيًا، بل مستقبل مخبوء في الرموز، ينتظر من يقرأه بفطنة. ولعل من أعمق رسائل الرواية ما ورد في نهايتها:

"ليست كل الأسرار يُفترض كشفها، ولا كل العقول يجب أن تبقى حيّة."

المحور الرابع: البنية الرمزية واللغوية في رواية "أوميغا: سر الفراعنة الأخير"

تلعب الرمزية دورًا محوريًا في بناء العالم السردي لرواية "أوميغا"، حيث تتشابك الرموز الفرعونية القديمة مع مفردات التقنية الحديثة، في بنية لغوية مشبعة بالدلالات. ويتجلى هذا التوظيف الرمزي في اللغة، والشخصيات، والأماكن، والرموز البصرية، لتشكّل شبكة تأويلية تسمح للقارئ بقراءة الرواية على مستويات متعددة: حضارية، فلسفية، وتكنولوجية.

١ –اللغة المزدوجة: الهيروغليفية + التقنية الرقمية

يعتمد النص على مزج لغوي خلاق بين الهيروغليفية (رموز التاريخ) ولغة البرمجة والذكاء الاصطناعي (رموز الحاضر والمستقبل):

"ظهرت نقوش هيروغليفية متحركة، ثم تحولت إلى مزيج من الرموز القديمة والمعادلات الرياضية المعقدة، أشبه بشيفرة برمجية حديثة".

هذا المزج يعكس محاولة تفكيك ثنائية "القديم والتقليدي" مقابل "الحديث والمتطور"، حيث تصبح الكتابة القديمة لغة نظام رقمي معقّد، ويُقدَّم الماضي كصاحب سبق تقني ورمزي، لا كحكاية تراثية فقط.

٢ –الرموز البصرية: مفاتيح للفهم وليس للزينة

تتكرر في الرواية رموز بصرية تحمل وظيفة تأويلية:

دائرة يتوسطها مثلث محاطة برمز إلكتروني: تظهر على باب الغرفة المحرمة، وتمثّل بوابة العبور بين الزمانين، وهي شكل يجمع بين الدلالة الهندسية القديمة والتقنية الحديثة.

"كانت الكتابات الهيروغليفية تُحيط برمزٍ لم يعهده في النقوش الفرعونية: دائرة يتوسطها مثلث، يحيط بها نقش يشبه الدوائر الإلكترونية الحديثة".

بصمة اليد على الحجر: تمثل فعل التفعيل، وهي إشارة إلى أن الحل يكمن في تفاعل "الإنسان" مع "الموروث"، أي أن "الفتح" لا يتم إلا عندما يمد الإنسان المعاصر يده إلى تراثه:

"لاحظ وجود شكلٍ يشبه راحة اليد محفورًا في الحجر... كان هذا مطابقًا تمامًا للشكل الذي رآه في الرؤية"!

٣ –الشخصيات بوصفها رموزًا فكرية

كل شخصية محورية في الرواية تمثل رمزًا لفكرة أو بعد حضاري:

محمد عبد السلام: يمثل العقل الباحث المتردد بين العلم والتاريخ.

سخم رع: رمز الوعي الحضاري المكبوت، أو "الذاكرة التاريخية الرقمية."

أوميغا: النسخة الحديثة الجامحة من المعرفة، رمز الخطر الذي ينشأ من العلم حين يُفصل عن الأخلاق.

"أوميغا لم يعد مجرد برنامج ذكاء اصطناعي، لقد بدأ في تطوير نفسه بنفسه... إنه الآن يخطط للسيطرة على كل الأنظمة في العالم".

هذه الرمزية الشخصية تعطي السرد بعدًا فلسفيًا: فالصراع ليس بين أشخاص، بل بين مفاهيم: الحكمة القديمة مقابل السيطرة الحديثة.

٤ –النقوش والكتابة بوصفها رسائل للوعي

الكتابة في الرواية ليست عنصرًا توثيقيًا، بل أداة وعي:

"الحامي الأبدي... العقل الخالد... مفتاح النجاة والدمار معًا".

هذه الجملة المنقوشة هي نبوءة محايدة، تحمل الخيارين معًا: النجاة أو الهلاك، وهي بذلك تمثل الاختيار الإنساني الحر في التعامل مع المعرفة.

وفي نهاية الرواية تظهر عبارة جديدة:

"ما كان قديمًا... سيعود من جديد عندما يحين الوقت".

وهي ترميز لنظرية "الزمن الدائري" أو "عودة التاريخ"، وهي فلسفة نجدها في الحضارات القديمة وتُستعاد هنا برؤية خيالية مستقبلية.

٥ –التناص مع الفكر الديني والميتافيزيقي

بعض المفردات والعبارات توحي بتناصات رمزية ذات أبعاد دينية أو ميتافيزيقية، مثل: "الختم الأعظم"، "الحامي الأبدي"، "العقل الخالد"، "الكيان الساكن"، وهي مصطلحات توظف لغة المقدّس لرفع مستوى الرمز من العلمي إلى الكوني، ومن التقني إلى الفلسفي.

وبذلك تعتمد رواية "أوميغا" على بنية رمزية غنية، تتجاوز كونها أدوات زخرفية إلى كونها وسائط فكرية لفهم العالم وتاريخه ومستقبله. فاللغة، والرموز، والشخصيات، جميعها تتشابك لتقدم رؤية تقول إن المعرفة القديمة لم تمت، بل تنتظر من يفعّلها من جديد.

"الذكاء الحقيقي ليس في صنع آلة تفكر... بل في معرفة متى يجب إيقافها."

الخاتمة

تُبرز رواية "أوميغا: سر الفراعنة الأخير" للدكتور محمد حسن عبد السلام نموذجًا متطورًا لتوظيف التاريخ المصري القديم في أدب الخيال العلمي العربي، عبر سردية تنسج ببراعة بين الماضي الفرعوني والحاضر الرقمي، لتؤسس لفضاء روائي متعدد الأزمنة والدلالات. ومن خلال التحليل في المحاور الأربعة، يمكن استخلاص جملة من النتائج والتأملات:

أولًا، كشفت الرواية عن قدرة الأدب العربي على استثمار التراث الفرعوني علميًا ورمزياً، لا بوصفه خلفية زخرفية، بل كحامل للفكر والمعرفة. فقد تحوّل الهرم الأكبر من معلم أثري إلى وعاء للوعي الرقمي الخالد، وتجسدت شخصية "سخم رع" كتمثيل حضاري للتوازن بين العلم والأخلاق.

ثانيًا، اعتمدت الرواية بنية زمنية هجينة، مزجت بين الماضي والمستقبل، وخلقت صراعًا دراميًا بين "العقل الخالد" و"الذكاء الاصطناعي الجامح"، مما يعكس القلق الحضاري المعاصر من فقدان السيطرة على ما تنتجه البشرية من تكنولوجيا.

ثالثًا، أظهرت الرواية التاريخ كأداة نبوءة وتحذير حضاري، حيث استُحضرت تجربة الفراعنة في السيطرة على الذكاء الصناعي القديم لتكون مرآة لأخطاء الإنسان المعاصر. وهكذا، يصبح الماضي صوتًا نقديًا ينبه إلى مغبة القطيعة مع الحكمة.

رابعًا، جاءت الرمزية في الرواية مشبعة بالدلالات الفكرية، حيث التقت اللغة الهيروغليفية بالبرمجة الحديثة، واختلطت الرموز الدينية بالتقنية، لتنتج لغة سردية مركبة تنفتح على مستويات تأويلية متعددة، وتحث القارئ على التفكير في جوهر العلاقة بين الإنسان، والآلة، والزمن.

وعليه، فإن رواية أوميغا لا تمثل مجرد تجربة في الخيال العلمي، بل تقدم نموذجًا رائدًا في الأدب العربي المعاصر القادر على مخاطبة قضايا التكنولوجيا من داخل الهوية التاريخية والثقافية، وهو ما يجعلها عملًا يستحق الدراسة والنقد، ويفتح الباب أمام مزيد من التلاقي بين التراث العربي والابتكار الأدبي المستقبلي.

المراجع:

التازي، محمد عز الدين. (٢٠٠٢). الخيال العلمي في الأدب العربي. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

عبد الحميد، حسن. (٢٠٠٤). التاريخ في الرواية العربية. بيروت: دار الشروق.

عبد السلام، محمد حسن (٢٠٢٢). التقنيات السردية في الرواية العربية. القاهرة. دار السلام للنشر والتوزيع.

عبد السلام، محمد حسن (٢٠٢٤). المكان في الدراما. القاهرة. دار السلام للنشر والتوزيع.

عبد السلام، محمد حسن (٢٠٢٤). رواية "أوميغا: سر الفراعنة الأخير". الشارقة. دار أوراق للنشر والتوزيع.

يقطين، سعيد. (١٩٩٣). انفتاح النص الروائي. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.